

خطبة: رمضان شهر الإرادة والكرم

الصيامُ مشروعٌ حضاريٌ لإصلاحِ النفسِ والمجتمعِ والأمة

رمضان ١٢ من العمر.. منهج رباني لإعادة ضبط النفس وإصلاح الحياة

معالم الصيام الكامل: رحلة الروح والجوارح

واجبات المسلم في شهر رمضان

عضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية



بِقلمِ الدَّكتور

الجمعة: ٢ رمضان ١٤٤٧ هـ / ٢٠ فبراير ٢٠٢٦ م - صفحة معارج الدعاة - موقع صوت الدعاة

الحمد لله وحده والصلوة والسلام على من نبي وحده.. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً ﷺ عبده ورسوله، خاتم المرسلين، وإمام الصابرين، وقائد المجاهدين، وأوفي الناس أجمعين، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه الغر الميامين، وعلى من تبعه بإيمان وإحسان إلى يوم الدين...
والصلوة والسلام للأئمان الأكمال، **الأشرفان الأنوران**، **الأعطران الأزهران**، المزهران المثمران، على من جمعت كل الكمالات فيه.. وعلى آله وصحبه وتابعيه..

فَمَبْلَغُ الْعِلْمِ فِيهِ أَنَّهُ بَشَرٌ * * * وَأَنَّهُ خَيْرُ خَلْقِ اللَّهِ كُلِّهِ
مَوْلَايَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَائِمًا أَبَدًا * * * عَلَى حَبِيبِكَ خَيْرِ الْخَلْقِ كُلِّهِ

اللهم رضي عنّا، وارض عنّا، برضاه عنّا.. ووضئنا يا ربنا بأخلاقه العظيمة، وحقق أمانينا بزيارةه، وافتح لنا أبواب رؤيته، ونيل شفاعته، اللهم آمين يا رب العالمين...

أيها المسلمين: أوصيكم ونفسي المقصرة بتقوى الله، فإنها وصية الله للأولين والآخرين، قال تعالى: (...وَلَقَدْ وَصَّيْنَا
الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ...) (النساء: ١٣١)، وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ
تُقَاتِهِ وَلَا تُؤْتُنَ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) (آل عمران: ١٠٢)، وقال سبحانه: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا)
(الأحزاب: ٧١-٧٠).

وقال الجليل (جل وعلا): (...وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) (البقرة: ٢٢٣). أما بعد...

ها قد أقبل شهر رمضان علينا محلاً بخيرات الله إلينا، فأهلاً ومهلاً أيها الضيف الكريم...

إنه الشهر المبارك الذي اختاره الله تعالى لينزل فيه القرآن الكريم على رسوله الأمين... قال تعالى: (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أَنْزَلَ فِيهِ الْقُرْآنَ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَىٰ وَالْقُرْآنَ) فَمَنْ شَهَدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلِيَصُمُّهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخْرَىٰ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلَتُكَمِّلُوا الْعِدَّةَ وَلَتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَأْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) (البقرة: ١٨٥).....

يقول النبي ﷺ: (إِنَّ لِرَبِّكُمْ عَزَّ وَجَلَّ فِي أَيَّامِ دِهْرِكُمْ نَفَحَاتٍ فَتَعَرَّضُوا لَهَا لَعَلَّ أَحَدَكُمْ أَنْ تُصِيبَهُ مِنْهَا نَفَحةٌ لَا يُشْقِي بَعْدَهَا أَبَدًا) ^(١).

وشهر رمضان هو شهر الفحات، والخيرات، والبركات، والبشرات، والمسرات، والطاعات، والقربات، والرحمات، والعتق من النيران، وتكفير السيئات، ورفع الدوائر، وإجابة الدعوات، وتطهير القلوب من الغفلات، وتجديد العهود مع رب الأرض والسماءات.

والصيام ركن من أركان الإسلام، وشعيرة قديمة بدأت منذ فجر البشرية، واستمرت إلى يومنا هذا، وستمتد إلى قيام الساعة. فقد فرضها الله على الأمم السابقة، فقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقَوْنَ) (البقرة: ١٨٣).

ومن هنا ندرك أهمية الصيام وأهدافه وغاياته، فهو منهج إلهي للإصلاح والتربية والتهذيب، وتنمية الإيمان، والتكافل، والرحمة، والرفق، وتحقيق التقوى وهي رأس كل خير...

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله ﷺ قال: (الصِّيَامُ جُنَاحٌ فَلَا يَرْفُثُ وَلَا يَجْهَلُ، وَإِنْ امْرُؤٌ قَاتَلَهُ أَوْ شَانَمَهُ فَلَيُقْلِلُ: إِنِّي صَائِمٌ مَرْتَبٌ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ حَلْوُفٌ فَمِنَ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ. يَشْرُكُ طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ وَشَهْوَتُهُ مِنْ أَجْلِي الصِّيَامِ لِي، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْنَاطِهَا) ^(٢).

وهكذا، يجمع رمضان بين دلالاته اللغوية التي تشير إلى الحرارة والاحتراق، ومعانيه الإيمانية التي تؤكد على تطهير القلوب وغفران الذنوب، ومن ثم فهو شهر مبارك يحمل الخير والبركة للمسلمين.

إنه موسم الفتوحات الربانية، وميدان المواجهات الإيمانية، وساحة الصفحات النورانية، ومنحة العطايا الإلهية التي تحب الأرواح بعد فتور الفترات، وتوقظ القلوب من سبات العادات...

لذلك جاءت بشارة النبي الكريم به

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال رسول الله ﷺ يشير أصحابه (قد جاءكم رمضان، شهر مبارك،

- شهر مبارك،
- افترض الله عليكم صيامه،
- تفتح فيه أبواب الجنة،
- وتغلق فيه أبواب الجحيم،
- وتغل في فيه الشياطين،
- فيه ليلة خير من ألف شهر، من حرم خيرها فقد حرم) ^(٣).

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه.

(٣) أخرجه النسائي، وأحمد واللفظ له.

الصيام مشروعٌ حضاريٌ لإصلاحِ النفسِ والمجتمعِ والأمةِ

إنَّ شعائرَ الإسلام وتشريعاته وتوجيهاته وأصوله وفروعه تستهدف:

- بناء إنسانٍ صالحٍ مصلحٍ.
- نافع لنفسه.
- مُصلحٌ في مجتمعه.
- رحيمٌ بكل خلق الله.
- قادرٌ على عمارة الحياة وترقيتها وبشكل مستدام وفق منهج الله.

والمجتمعُ المسلم إنما يتكونُ من مجموع أفرادٍ يفترضُ فيهم أن يكونوا صاحينَ مصلحين، مستنيرين بتعليمات دينهم الحنيف، متخلّين بقيمه، عاملين بأحكامه.

ولذلك جاءت التشريعاتُ والشعائرُ، ومن بينها -بل من أهمها- الصيام؛ ليتحققَ هذه الغاية العظمى. فهو -إضافة إلى كونه علاقةً خالصةً بين العبد وربه- شعيرةٌ ذاتُ مقاصدٍ تربويةٍ وأخلاقيةٍ عميقَة، تستهدف:

- تهذيبَ النفسِ والقلبِ والعقلِ والوجودان.
- وكبحِ جماحِ الشهواتِ ومجاهدةِ الغرائز.
- وملاحةَ نزغاتِ الشيطانِ في القلب.

○ وضبطِ عملِ الجوارحِ وفقِ موازنِ الشرعِ الحنيف.

كل ذلك من أجل أن يستقيمَ المسلم بإرادته على جادةِ الصوابِ التي رسّمها الوحيُ الشريفُ المعصوم.

الصيام من زاوية المقاصد الحضارية:

إذا نظرنا إلى الصيام من زاوية المقاصد الحضارية وجدناه مشروعًا ومنهجًا متكاملًا لإعادة تشكيل الإنسان؛ لأن المشروع في الواقع المعاصر، يقوم على ثلاثة أركان واضحة:

غاية محددة: والصيام له غاية منصوصٌ عليها في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (البقرة: ١٨٣). وهكذا فالغاية هي بناء التقوى، وضبط الإرادة، وترسيخ المراقبة؛ حيث يتعلم الإنسان تقديم أوامر الله على موارد النفس وشهوتها.

منهج واضح: يبدأ بضبطِ الجسد، وتمر بتهدیبِ السلوك، وينتهي بتركيةِ القلب، عبر برنامجٍ تعبدِي منضبطٍ ومتكرر يصوغ الشخصية المسلمة تدريجيًّا.

أثر ممتد: فلا ينتهي أثر الصيام بانقضاءِ الشهرِ الفضيل؛ بل يترك بصماته في السلوكِ بعده؛ فيثمر اتزاناً حليقًا، ورحمةً اجتماعيةً، وانضباطًا ذاتيًّا.

وهكذا يتجاوز الصيام كونه عبادةً زمنية ليغدو مدرسةً إيمانية تربوية سنوية لتجديد الإيمان، وتقويم السلوك، وبعث الروح الحضارية في الفرد والأمة.

رمضان ١ على ١٢ من عمر المسلم

(دورة ربانية لإعادة ضبط النفس وإصلاح الحياة)

إنَّ شهرَ رمضانَ منْهَا ومنحةٌ وعطيةٌ وهديةٌ ربانيةٌ، وهو استقطاعٌ ربانيٌّ لمساحةٍ زمنيةٍ تمثل: (واحدًا على اثنينِ عشرَ) من عمرِ المسلم؛ ليكون بمثابة: المختبر التربوي والإصلاحي الذي ضبط النفس، ويعيد هيكلة الشخصية المسلمة، ويرمم ما أفسدته ضوضاء الحياة في بقية العام.

لماذا هذا الاستقطاع الزمني من عمر المسلم في الصيام؟ (الرؤية المقاصدية)

يمكنا قراءة هذه النسبة الزمنية من الروايات الحضارية التالية:

أولاً: الاستثمار التراكمي

"سبع سنوات من عمر الإنسان تمثل رمضانات مرت على المسلم في حياته" تسهم في بناء الإنسان، فإذا قدر للشخص مثلاً أن يعيش ستين عاماً، فهذا يعني أنه أمضى من عمره نحو خمس سنوات كاملة في "مدرسة الصيام"، وإذا قدر له أن يعيش ثمانين عاماً، فهذا يعني أنه قضى من حياته نحو سبع سنوات كاملة في هذه المدرسة التربوية الرائدة. إنَّ سبع سنوات من الانضباط الوعي - أيها السادة - كفيلة بصناعة شخصية رائدة.

إذا استطاع الإنسان أن يستفيد من دورة تدريبية أسبوعية أو شهرية خير استثمار، فإنها كفيلة بتغيير حياته نحو الأفضل، الأجمل، والأحسن... فماذا إذا تخيلنا أن إنساناً يتلقى دورة تدريبية مكثفة لمدة سبع سنوات في ضبط النفس، وترقية السلوك، وصفاء القلب، ومراقبة الله والإخلاص له، ويرتقي خلالها وفق مراتب الصيام الثلاث عند الإمام أبو حامد الغزالي؟

هكذا تحول هذه السنوات إلى ما يشبه "دبلومة ريانية" - إن جاز التعبير - في الإدارة الذاتية؛ تُعيد ترتيب الأولويات، وتوسّس للرقابة الداخلية، وتغرس معاني الاستخلاف وترقية الحياة. وينتقل المسلم من دائرة العابد بالعادة إلى أفق المستخلف بالوعي المتحلى بالمسؤولية، ومن أداء الشعيرة إلى تجسيد الرسالة في واقعه وحياته، ومن الانفعال بالموسم إلى صناعة الأثر والفعل الحضاري المبهر والمتنامي بشكل مستدام.

ثانياً: الجدو الروحية... "الزكاة الزمنية" لتطهير العمر

الصيام هو الضريبة التزكوية على الوقت؛ فكما تُركي المال لنطهر الأرصدة، تُركي العمر بشهر رمضان لنطهر بقية الشهور.

المقصد هو عملية هندسة قيمية متكاملة؛ تبدأ بـ تخلية الروح من علاقتها التبعية للمادة، وتقر في مسار تخلية النفس بالفضائل، لتصل إلى التجلّي في مسارات القرب من الله سبحانه وتعالى.

وهكذا يصبح الشهر الكريم الفلتر السنوي الذي ينقى المسلم ويرتقي به، ويضمن استقامته المسار في العقود السبعة الأخرى من العمر، ليكون رمضان نقطة انطلاق نحو حياة متوازنة روحياً وأخلاقياً وحضارياً.

ثالثاً: من "الزمن الأفقى" إلى "الزمن العمودى"

تضي شهور العام في مسار "أفقى" رتب، عبارة عن: (أكل، شرب، عمل، استهلاك، مشكلات، ... إخ). لكن رمضان يكسر هذا الرتابة لينقلنا إلى "الزمن العمودي"؛ زمن التدرج والارتقاء والمعارج والصلة الروحية بالله (تعالى). ففي رمضان، تتحرر من قانون "الجاذبية الطينية" لنجاح في آفاق النور.

وهذا الشهر هو الذي يمنح لبقية العام قيمته ومعناه، ويحول المسلم من مستهلك إلى منضبط وراشد. لذلك كانت شعيرة الصيام التي ترمي إلى إيجاد إنسانٍ تقى نقى، يرافق الله في كلماته وحركاته وسكناته، في سلوكياته وأعماله وأحواله... يرى الحياة مسرحاً للاستخلاف، وسلمًا للارتقاء في معراج القرب من الله الجليل (جل وعلا).

#الدكتور_أحمد_علي_سليمان

التقوى هي الثمرة الكبرى:

التقوى هي الثمرة الكبرى، وهي الملكة التي إذا استقرت في كيان المسلم، وعاش بها ولها ومعها وفيها ومن أجلها، أثمرت وأينعت وأصلاح ووجهت لكل خير... فتحول الشخص إلى:

- ✓ إنسانٍ فاضل مخلص.
- ✓ يخافُ الجليلَ (جل وعلا).

- ✓ ويعمل بالتنزيل
- ✓ ويرضى بالقليل
- ✓ ويستعد ليوم الرحيل؛ فلا يظلم أحداً، ولا يطمع في مال أحدٍ ولا في جاهه، لأن التقوى صارت ركناً راسخاً في كينونته.

الصيام يعلم الصبر والشكري ويقوى الإرادة:

والصيام -أيها الكرام- يعلم الإنسان الخير، ويزيّن ضميره، ويقوّي إرادته، ويغرس فيه معالم الصبر ومعاني الشكر، ويعمق صلته بالله، ويدربه على الإخلاص؛ فهو دورة تدريبية مكثفة لإصلاح النفس والعقل والقلب والجسد والإرادة. فإذا اعتاد الإنسان الصبر، وإذا امتنع عن الحلال طاعةً لله، كان من باب أولى أن يتبعه عن الحرام.

ومن هنا علّمنا النبي ﷺ أن الصيام جنة، وأنه سبيل عظيم لإصلاح النفس وترميم الحياة.

وقد شرع الله الصيام شهراً كاملاً في العام، أي نحو (١٢/١) من حياة المسلم السنوية -كما أشرنا- إضافة إلى ما سُنَّ من صيام فيسائر العام؛ وفي ذلك حكمةٌ بالغة لإصلاح النفس المسلمة وتجديده طاقتها الإيمانية بصورةٍ مستدامة.

وهذا الامتداد الزمني إنما هو إعداد سنوي لإعادة شحن الضمير، وترميم الإرادة، وتصحيح المسار.

فالصيام إذاً ليس عبادةً فرديةً فحسب، بل هو مشروعٌ فضلاًً أخلاقيًّا جماعية لجموع المسلمين ينميهم ويرقيهم، وفيه تتكامل تزكية الفرد مع تماسك المجتمع، ويتلاقى فيه البعد الروحي مع البعد الحضاري.

وحيثما يصلح الضمير، وتقوى الإرادة في كل نفسٍ مسلمة، فإننا بذلك نسهم في إصلاح مجتمعٍ إسلاميٍّ يقارب عدد أفراده ملياري مسلم حول العالم.

ويا له من خير عظيم أن يسير الإنسان في طريق الوصول إلى الله سبحانه وتعالى.

فعن التواوس بن سمعان الأنباري قال: سأّلتُ رسول الله ﷺ، عن البر والإثم فقال: (البر حُسنُ الْخُلُقُ، وَالإِثْمُ مَا حَانَ في صَدْرِكَ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطْلُعَ عَلَيْهِ النَّاسُ) ^(٤)، فما أحوجنا إلى البر في شهر الصيام!

والبر مفهوم شامل لا يتحقق إلا في نفوس صلحت سريعاً، واستقامت إرادتها، وسخّرت بالعطاء نفوسها.

يقول النبي ﷺ (... المسلم من سلم الناس من لسانه ويده، والمؤمن من آمنه الناس على أموالهم وأنفسهم، والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب، والمجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله تعالى) ^(٥).

يقول النبي ﷺ (المسلم من سلم المسلمين من لسانه ويده، والمؤمن من آمنه الناس على دمائهم وأموالهم، والمجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب) ^(٦).

أيها المؤمنون: رمضان شهر الإرادة؛ لأنَّه الميدان الذي يتعلم فيه الإنسان كيف ينتصر على نفسه قبل أن ينتصر على غيره، ففيه يُمسك الصائم عن شهواته المباحة قبل الحرام، لا لشيء إلا امتنالاً لأمر الله إن الصوم ليس امتناعاً عن الطعام والشراب فحسب،

- بل هو تدريب يومي على الصبر،
- ومجاهدة للنفس،
- وتربيَّة للإرادة؛ حتى يصبح المؤمن قويَّ العزم، ثابتَ المبدأ، لا تزلزله الرغبات ولا تستعبده العادات، وهذا كان رمضان مدرسةً ربانيةً تخرج رجالاً ونساءً يملكون أنفسهم، ويعرفون أن أعظم نصر يحققه الإنسان هو نصره على شهواته.

(٤) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه.

٥ ابن حجر العسقلاني المصدر : مختصر زوائد البزار – إسناده صحيح.

٦ هداية الرواة إلى تخريج أحاديث المصاييف والمشكاة – إسناده صحيح.

ثمرة الصيام ضبط النفس وقوية الإرادة

قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (القرة: ١٨٣). فاللتقوى ثمرة الصيام، وهي تعني ضبط النفس ومراقبة الله، وهذا هو جوهر الإرادة، والتقوى تولّد في القلب يقيّنا بالله،

والصيام يُنقِي القلب والعقل والروح والجسم والوجودان؛ ليتأهّل المؤمن، ويتأهّب لاستقبال أنوار الرحمن. والصيام طريق التخلّي، والتَّحلّي، والتَّجلّي:

- التخلّي من الأدران والشوائب العالقة بالجسم، والعقل، والنفس، والروح، والوجودان.
- والتَّحلّي بمحارم الأخلاق وجمال الهدي النبوي الشريف وجلاله.
- والتَّجلّي والغُرور في مدارج الوصول إلى الله.

العلاقة بين صلاح النفس وجودها وعطاؤها وصلاحها

ثمة علاقة وثيقة بين إصلاح النفس وجودها؛ فمن صلحت نفسها جادت بالعطاء الشامل:

- عطاء الكلمة
- عطاء المال
- عطاء الوقت
- عطاء الرحمة.

وفي رمضان، نحن أحوج ما نكون إلى زادِي الإصلاح: إصلاح النفس، وإصلاح المجتمع... وخير الناس أنفعهم للناس

قال (عليه السلام): (البُرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ...) ^(٧)، وقال (عليه السلام): (ما آمنَ بيَ مَنْ بَاتْ شَبَّعَانًا وَجَارُهُ جَائِعٌ إِلَى جَنْبِهِ وَهُوَ يَعْلَمُ) ^(٨).

فالصيام إذاً ليس امتناعاً عن الطعام والشراب فحسب، وإنما هو بناء إنسان، وصناعة أمّة، وتجديد عهده مع الله؛ حتى نحيا باللتقوى، ونسير على هدى، ونلقى الله بقلب سليم. ومن هنا يصح أن نقول -في ضوء المقصود وأمالات الآثار- إن الصيام مشروعٌ حضاريٌ لإصلاح النفس والمجتمع والأمة؛

- لأنَّه يُعيد تشكيل الداخِل الإنساني
- ويسهم في تقويم السلوك الاجتماعي
- ويعيد لنَّهضة إسلامية تقوم على أساس أخلاقي راسخ.

وتلك -أخي القارئ الكريم- هي الرسالة الكبيرة التي يحملها الصيام للأفراد والمجتمعات والأمة.

مراتب الصيام

فاسفة الصيام عند الإمام أبو حامد الغزالى من فقه الإمساك إلى فقه الارتفاع

لم يتعامل الإمام الغزالى (رضي الله عنه) مع الصيام على أنه طقس تعبدي تتشابه فيه الصور وتختلف فيه الدرجات فحسب، بل رأه رحلة صعود مدروسة، ينتقل فيها الإنسان من أسر العادة إلى أفق العبادة. فالصوم عنده ليس

(٧) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه.

(٨) خرجه البزار كما في (جمع الزوائد) للهيثمي، والطبراني، وأخرجه المنذري في الترغيب والترهيب - إسناده حسن.

مجرد حرمٍ حسي، ولا مجرد امتناع عن مباحث مؤقتة فحسب، وإنما هو مشروع تربية يستهدف إعادة تشكيل الإنسان عقدياً وأخلاقياً وسلوكياً.

وفي كتابه إحياء علوم الدين رسم خارطة هذا الارتقاء عبر ثلات درجات متتابعة، تتكامل، وتبني الإنسان من الخارج إلى الداخل.

أولاً: صوم العموم - انضباط الظاهر وصحة الامتثال

هذه هي العتبة الأولى، حيث يمسك الصائم عن الطعام والشراب وسائر المفطرات من الفجر إلى الغروب هي مرتبة الامتثال الظاهري التي تصح بها العبادة، وتبرأ بها الذمة، وتسقط بها الفريضة.

لκها - في ميزان المعنى - تمثل الحد الأدنى من الصوم؛ إذ قد يجوع الجسم بينما يظل السلوك منفلتاً، وقد يعطش البدن بينما يفيض اللسان بما لا يليق.

إنها مرحلة ضبط الاحتياج، وبداية التدريب على كبح الشهوة، تمهيداً لما هو أعمق.

ثانياً: صوم الفصوص - تهذيب الجوارح وبناء الرقابة الذاتية

هنا ينتقل الصائم من صيام "المعدة" إلى صيام "الأعضاء"، ومن فقه النص إلى فقه السلوك.

- فيصوم السمع عن اللغو
- ويصوم البصر عن التطلع لما يخدرس الحياة
- ويصوم اللسان - وهو الميدان الأوسع - عن الغيبة والكذب والتنمّر والمشاحنات، سواء كانت واقعية أو رقمية
- وتصوم اليد عن الأذى، والرجل عن السعي إلى المعصية.

هذه المرتبة تحول الصيام من جوع وعطش إلى يقظة أخلاقية شاملة.

إنه صوم تتعذر آثاره إلى المجتمع؛ حيث تصبح الجوارح أدوات بناء لا هدم، وأدوات إصلاح لا خصم. وهنا تتأسس الرقابة الذاتية الوعائية، فيراقب العبد نفسه؛ لأنَّه يستشعر نظر الله إليه.

ثالثاً: صوم خصوص الفصوص - صفاء القلب وتجريد التعلق

وهذه هي الذروة التي يبلغها من صفا قلبه واستقامت نيته.

وفيها لا يصوم البدن والحواس فحسب، بل يصوم القلب عن الصفات الدنيئة، ويصوم القلب أيضاً عن التعلق بما سوى الله.

- يصوم القلب عن الحسد والكبر والرياء
- وعن الغل والآحقاد
- وعن الاستغراق المفرط في هموم دنيوية تستنزف الروح وتُضعف الصلة بالله.

في هذه المرتبة يتحرر الإنسان من عبودية الهوى، ويتجدد من زيف المظاهر، ويعيش حالة تجعله أقرب إلى مقاصده الوجودي.

إنه صوم يظهر "المركز" الذي تتجه منه القرارات والمشاعر والسلوك، فإذا صلح القلب صلح ما سواه. وبالجملة:

- فمن عند الظاهر فقد أدى الواجب
- ومن ارتقى إلى انضباط الجوارح نال الفضيلة
- ومن بلغ صفاء القلب أدرك روح الصيام وسكننته ونال القرب من الجناب الأعلى (جل وعلا).

وهكذا يتحول الصيام من "فقه الإمساك" إلى "فقه الارتفاع"، ومن عبادة زمنية محدودة إلى منهج حياة يعيد ترتيب الأولويات، ويزكي النفس، ويقيم الإنسان على ميزان العبودية الصادقة.

معالم الصيام الكامل: رحلة الروح والجوارح

الصيام هنا ليس صياماً عن الطعام والشراب والشهوة فحسب، بل هو صيام شامل يعيد صياغة الإنسان ظاهراً وباطناً، ويخرجه من دائرة العادة إلى أفق العبادة، ومن أسر الشهوة إلى شرف الطاعة. وإليكم محاور الصيام:

- ١ - **صيام القلب:** عن الحقد والحسد والبغض والكراهية والرياء والنفاق، وتطهيره ليكون سليماً نقياً، عامراً بالحبة والرحمة، وحب الخير للناس.
- ٢ - **صيام العين:** بخفضها عن ما حرم الله، وانكسارها بين يديه، وفطامها عن النظر إلى ما لا يليق، وتوجيهها إلى التأمل في آيات الله الكونية والشرعية.
- ٣ - **صيام اللسان:** عن الكذب والغيبة والنميمة وقول الزور، وكل لفظ لا ينفع ولا يصلح، وتعويده على الذكر والدعاء والكلمة الطيبة التي تُحيي القلوب.
- ٤ - **صيام الأذن:** عن استماع الباطل واللغو والافتراء، وإقبالها على سماع الحق، الإنصات للقرآن، والاستماع للحكمة.
- ٥ - **صيام اليد:** عن البطش والظلم وأكل الحرام، وتمديدها بالعطاء والإحسان، وبدل المعروف، ونصرة الضعيف ومساعدة المحتاجين.
- ٦ - **صيام القدم:** عن السعي إلى مواطن المعصية، وتوجيهها إلى بيوت الله، ومجالس العلم، وصلة الأرحام، وقضاء حوائج الناس.
- ٧ - **صيام الفكر:** عن سوء الظن والتشاوم والانشغال بالتوافق، وتسخيره للتدبّر والتخطيط للخير، وبناء النفس والمجتمع.
- ٨ - **صيام النفس:** عن الكبر والغرور والعجب، وتربيتها على التواضع والانكسار بين يدي الله، ومعرفة قدرها الحقيقي.
- ٩ - **صيام العقل:** بالتفكير في آلاء الله، والتأمل في ملوكته، والتدبّر في كتابه المسطور (القرآن الكريم) وكتاب المنظور (الكون الفسيح)، والبعد عن المكر السيئ والتخطيط الخبيث، وتسخير الفكر في البناء والإصلاح وابتکار الخير.
- ١٠ - **صيام الضمير:** باستحضار مراقبة الله في كل خاطر وقرار، فلا يُبرر باطلًا ولا يُسوغ ظلماً، بل ينحاز إلى الحق ولو على النفس.
- ١١ - **صيام الإرادة:** عن الاستسلام للكسل والتراخي، وتوجيهها إلى الجد والاجتهاد، والمبادرة إلى الطاعات، والمسارعة إلى الحirيات.
- ١٢ - **صيام الوجдан:** عن القسوة والغلظة، وتربيتها على الرحمة والرفق، ولين الجانب، والسماحة، وحب الخير للناس أجمعين.

ثمار الصيام الكامل:

إذا صام الجسد والجوارح، والقلب والعقل، والضمير والإرادة، كان الصيام صياماً كاملاً، وكانت التقوى ثمرة ناضجة، وكان رمضان محطة ارتقاء حقيقة تقرب العبد من ربِّه، وتجعله أنفع لعباد الله.

وهكذا يكون شهر رمضان مدرسة لتنمية الإنسان كله، لا لتهذيب معدته فحسب؛ صيام يُنْزَكِي الروح، ويهدّب الأخلاق، ويقوى الإرادة، ويشرّق تقوىًّا أثراً متداً بعد انقضاء الشهر الكريم.

أيها الأخوة المؤمنون: أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكلِّكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده والصلوة والسلام على من لا نبى بعده، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن سيدنا محمدًا ﷺ رسول الله.. عباد الله: أوصيكم ونفسى بتقوى الله.. يقول الحق (تبارك وتعالى): (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقًّا تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) (آل عمران: ١٠٢).

واجبات المسلم في شهر رمضان

أولاً: واجب الصيام الجسدي والروحي

- الامتناع عن الطعام والشراب والشهوة من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، مع تطهير الجوارح عن المعاصي والذنوب والسيئات.
- صيام القلب عن الحقد والبغض والرياء والحسد والنفاق... إلخ، مع الحرص على الية الصادقة في كل عمل.
- صيام اللسان عن الكذب والغيبة والنميمة... إلخ، ليكون شهر رمضان تدريجياً على السكينة الداخلية وضبط النفس.

ثانياً: واجب العبادة والطاعة

- الإكثار من الصلاة والتهجد والقيام وقراءة القرآن، لتغذية الروح وإعادة ترتيب الأولويات بين الدنيا والآخرة.
- تلاوة القرآن وتدبره بما يعين على الفهم العملي والتطبيق الحياتي وليس مجرد القراءة فقط.
- الدعاء المستمر والاعتكاف عند القدرة، لتنمية الصلة بالله وزيادة الإحساس بالخشوع والرهبة.

ثالثاً: واجب التزكية والتطهير النفسي

- محاسبة النفس على الأفعال اليومية وتصحيح السلوك بما يحقق إصلاح الذات وتزكية القلب.
- التوبة النصوح عن الذنوب والمعاصي، والاستمرار على منهج تخلص النفس من الأوزار بشكل مستدام.
- الصبر على الشدائدين والمصاعب مع إدراك أن رمضان فرصة للتدريب على ضبط النفس والتحمل.

رابعاً: واجب الرحمة والإحسان للغير

- إطعام الفقراء والمحتججين، ومساعدة المرضى والمكروبين، لتكون العبادة متكاملة بالجانب الاجتماعي.
- حفظ الحقوق بين الناس، وتجنب الظلم والقصوة، لتجعل رمضان مدرسة للرحمة والمجتمع الصالح.
- التواصل الإيجابي مع الأسرة والجيران، ونشر قيم المحبة والاعتدال، بما يعكس الجانب الحضاري للشهر الكريم.

خامساً: واجب التنمية الذاتية والوعي الاجتماعي

- ✓ تنظيم الوقت بين العبادة والعمل والدراسة، لتحقيق توازن الحياة وفق منهج إسلامي متكامل.
- ✓ الاستفادة من الفرص التربوية في رمضان، لتعزيز المعرفة والوعي الذاتي والمجتمعي والإنساني.
- ✓ مراقبة النفس باستمرار لتصحيح الأخطاء ورفع الكفاءة الأخلاقية والسلوكية.

سادساً: واجب الدخول في معارج القرب من الله

- رمضان يمثل فرصة فريدة لتعزيز الصلة بالله، وبلوغ درجات القرب الإلهي في القلب والسريرة، من خلال ما يلي:
- الإخلاص في الطاعة والعبادة: أن تكون كل الأعمال لله وحده.
 - الخشوع في الصلاة والدعاء: أن يغمر القلب شعور العبودية والخضوع لله، فيصفي الإنسان لكلماته ويعيش كل لحظة اتصال حقيقي مع خلقه.

- الاعتكاف ومناجاة الله: استثمار أوقات الفراغ في المسجد أو البيت للانعزال عن شواغل الدنيا، والتفرغ لمناجاة الله بقلوب صادقة.
 - تجديد العهد مع الله: مراجعة العهود والنوايا مع الله، وتشييد العزم على الاستقامة والطاعة، ليصبح كل يوم امتداداً لروح رمضان.
 - الاستمرارية بعد رمضان: إدراك أن معارج القرب ليست مخصوصة في الشهر فقط، بل هي منهج حياة دائم يزرع الطاعة، يصقل الأخلاق، ويعمق الروحانية في كل أعمال المسلم بعد رمضان.
- بهذا، يصبح رمضان أكثر من صيام وقيام وعبادة؛ إنه مدرسة حقيقة لارتقاء الروحي وتجربة حية للقرب من الله في كل لحظة من حياة المسلم. ومع مرور كل رمضان، يشعر الإنسان بأنه يرقى في درجات الطاعة، ويزداد قربه من ربه، فيعمق إخلاصه، ويصقل روحه وأخلاقه، ليجد نفسه عاماً بعد عام أقوى ارتباطاً بالله، وأرقى في سلوكياته، وأكثر نورانيةً في قلبه وإيمانه.

وفقنا الله للاستعانة بنعم الله على طاعة الله، وعلى ترقية الحياة...

بارك الله لي ولكلم في القرآن العظيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكلم.
وفي النهاية نشكر الله (تعالى) العظيم الأعظم، الكريم الأكرم، الحكيم الأحكم، الذي هيأ لنا الأسباب، وأفاض علينا وأثاب، وأهمنا جليل الخطاب، وفتح لنا واسع الأبواب في العلم والخير والنفع.
نسأل الله أن يحفظ أوطاننا من الفتنة ما ظهر منها وما بطن، اللهم احفظها من كل سوء، وبارك لنا فيها، واجعلها دار أمن وإيمان، وسلام وإسلام. اللهم من أرادهاسوء فاجعل تدبیره تدميره، ورد كيده إلى نحره.
اللهم أصلح ولاة أمورنا، وهب لهم البطانة الصالحة الناصحة، ووفقهم لما فيه خير العباد والبلاد.
اللهم احفظ شبابنا من الفتنة، وألف بين قلوبنا، ووفقنا للعمل الصالح الذي يرضيك عنا.
اللهم احفظ مصر شرقها وغربيها، شمالها وجنوبها، طولها وعرضها وعمقها، بحارها وسماءها ونيلها، ووفق يا ربنا قيادتها وأمنها وأزهراها الشريف، وعلماءها، واحفظ شعبها، وبلاد الحسين يا رب العالمين.
اللهم اشف مرضانا وارحم موتانا اللهم طهر قلوبنا من الكبر، وزينها بالتواضع، اللهم اجعلنا من يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وصل اللهم وسلم وببارك على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.
(...رَبِّ أَوْزَعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالَّذِي وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلَنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ) (النمل: ١٩)، (...الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهُنَّا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِي لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ...) (الأعراف: ٤٣)

اللهم تقبل هذا العمل من الجميع... وبالله تعالى التوفيق

خاتمة الدعوة والدعاة



عضو المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

والحاصل على المركز الأول على مستوى الجمهورية في خدمة الفقه والدعوة (وقف الفجرى ٢٠٢٢ م)
المدير التنفيذي السابق لرابطة الجامعات الإسلامية. عضو نقابة اتحاد كتاب مصر
واتس آب: ١١٢٢٢٥١١٥ ، بريد الكتروني: drsoliman5555@gmail.com

يُرجى من السادة الأئمة والداعية متابعة الصفحة الرسمية، وعنوانها:

#معارج_الدعاة خطب منبرية وقضايا فكرية وتربيوية معاصرة د. أحمد علي سليمان، متابعة كل جديد

(١٥) Facebook